(156) وهذه الجمل الاَربع تعرب عن كون القتل أمراً غير مشروع، ولاَجل ذلك وصفه تارة بأنّه من عمل الشيطان، وأُخرى بأنّه كان ظالماً لنفسه، واعترف عند فرعون بأنّه فعل ما فعل وكان عند ذاك من الضالّين ثالثاً، وطلب المغفرة رابعاً. أقول: قبل توضيح هذه النقاط الاَربع نلفت نظر القارىَ الكريم إلى بعض ما كانت الفراعنة عليه من الاَعمال الاِجرامية، ويكفي في ذلك قوله سبحانه: (إِنّ َ فِرْعَونَ عَلا فِي الا َرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبّ ِحُ أَبْنَاءَهُمْ ويَسْتَحْيِ نِساءَهُمْ إِنّ َهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ)(1)، ولم يكن فرعون قائماً بهذه الاَعمال إلاّ بعمالة القبطيين الذين كانوا أعضاده وأنصاره، وفي ظل هذه المناصرة ملكت الفراعنة بني إسرائيل رجالاً ونساءً، فاستعبدوهم كما يعرب عن ذلك قوله سبحانه: (وتِلْكَ نِعمَةٌ تَمُنّ ُها عَلَىّ َ أنْ عَبّ َدتّ َ بنِى إسْرائيل)(2)ولمّا قال فرعون لموسى: (أَلَمْ نُرَبِ ّكَ فِينا وَلِيداً)(3)واستعلى عليه بأنّه ربّاه وليداً منذ أن ولد إلى أن كبر ... أجابه موسى بأنّه هل تمن على بهذا وقد عبدت بني إسرائيل؟ وعلى ذلك فقتل واحد من أنصار الطغمة الاَثيمة التي ذبحت مئات بل الآف الاَطفال من بني إسرائيل واستحيوا نساءهم، لا يعد في محكمة العقل والوجدان عملاً قبيحاً غير صحيح، أضف إلى ذلك أنّ القبطي المقتول كان بصدد قتل الاِسرائيلي لو لم يناصره موسى كما يحكي عنه قوله: (يقتتلان)، ولو قتله القبطي لم يكن لفعله أىّ رد فعل، لاَنّه كان منتمياً للنظام السائد الذي لم يزل يستأصل بني إسرائيل ويريق دماءهم طوال سنين، فكان قتله في نظره من قبيل قتل الإنسان الشريف أحد عبيده لاَجل تخلّفه عن أمره. إذا وقفت على ذلك، فلنرجع إلى توضيح الجمل التي توهم المستدل بها

_____ 1 . القصص: 4. 2 . الشعراء: 22. 3 . الشعراء: 18.